

مفاهيم القرآن

(55) رَبُّكُمْ الْأَعْلَى * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى) (النازعات: 23 – 25). (قَالَ (لأي فرعون لموسى عليه السلام) لَتَنُ إِتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَ لَكَ مِنَ الْمُسْجُوتِينَ) (الشعراء: 29). وقد بلغ به الاستبداد إلى أن يوجد الكبت في المجتمع ويقف دون يقظتهم ووعيهم، بحيث لو لمس فيهم ذلك نكّل بهم وعذبهم أشدّ العذاب: (قَالَ أَمَأَمَنْتُمْ لَّهِ قَبِيلَ أَنْ أَعَذِّنَ لَكُمْ إِرَٰهَ لَكَابِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمْ السَّحَرَ فَلَا سَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا قُطَّعَنَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلَّابَتُكُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلَافٍ) (الشعراء: 49). (قَالَ أَمَأَمَنْتُمْ لَّهِ قَبِيلَ أَنْ أَعَذِّنَ لَكُمْ إِرَٰهَ لَكَابِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمْ السَّحَرَ فَلَا قُطَّعَنَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلَّابَتُكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَا تَعْلَمُونَ أَيْسَرْنَا أَسَدَّ عَذَابًا وَ أَبْقَى) (طه: 71). إن الحاكم الاستبدادي لا يتحمل حركات التوعية والإصلاح، ولذلك يتهم أصحابها بكلّ تهمة كما فعل فرعون بالنسبة لموسى – عليه السلام – ودعوته الإلهية المباركة حيث اتّهمه فرعون وأخاه بأنّه يطلب الزعامة: (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْلَمَ مَا بِنَا وَأَجِدُوْنَا رُءُوسًا بَٰلِغِينَ) (طه: 56-57). (قَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ مَأْ) (طه: 63). وربّما يصوّر للناس وضعهم الأسود البائس تصويراً جميلاً ويلقّٰنهم بأنّ ما هم فيه من طريقة، هي الطريقة المثلى كما يقول ذلك عن لسان فرعون وملائه: (إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ مَأْ) (طه: 63). وقد يبلغ الاستبداد بالحاكم المستبدّ حداً يجعله يتوسّل بكلّ وسيلة للحفاظ على عرشه حتّى ادّعاء التديّن، والتستّر به، ونصب نفسه حامياً لحياض الدين مع أنّّه يريد في قرارة نفسه –؛ هدم الدين والقضاء عليه من جذوره، وربّما يتّهم من يريد إرشاد